

سلسلة حقيقة النفس (١)

لفضيلة الشيخ الدكتور: عبدالعزيز بن أحمد البداح

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد:

فقد روى البخاري وغيره أن اليهود سألوا النبي ﷺ عن الروح فأمسك النبي حتى نزل عليه قوله تعالى:
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] وروى الترمذي أن الذين سألوا
هم قريش بإشارة من اليهود، والله عز وجل بين في هذه الآية أن الروح والمراد بها: النفس البشرية على قول أكثر أهل
التفسير، وقيل إن المراد بالروح جبريل وقيل ملك من الملائكة، لكن أكثر أهل التفسير على أن الروح هنا هي النفس أو
الروح المعروفة.

ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي يعني: من خلقه، أو وجدت بأمره وأنتم لا تعرفون حقيقتها وكونها،
وهذه الروح سأل عنها اليهود كما في رواية البخاري لأن هذه الروح أشغلت الفلاسفة في الوقوف على حقيقتها وماهيتها؛
لأنها سرٌّ من أسرار الخلق في اتصالها بالبدن وفي انفصالها عنه، ثم في اتصالها بعد ذلك الانفصال، كما في أطوار
الخلق الثلاثة في الدنيا والبرزخ والآخرة، ولهذا أقسم الله عز وجل بهذه الروح في قوله سبحانه بعد سادس قسم:
﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: ١]

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ
وَمَا سَوَّاهَا﴾ [الشمس: ١-٧] وأقسم الله عز وجل بهذه النفس لما فيها من عجائب صنعه وبديع خلقه جل وعلا، ومن ذلك أن
هذه النفس على أنواع وليست بنفسٍ واحدة، فمنها نفس المؤمن المطمئنة الراضية بالله تعالى الموقنة بوعد الخائفة
من وعيده، ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠]،
﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

ومنها النفس اللوامة يعني التي تلوم صاحبها على فعل الشر، فهي تارة تميل إلى الشر لكنها تلوم صاحبها على ذلك، وهذه النفس أقسم الله عز وجل بها، ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢-١]، لا أقسم يعني: أقسم، فلا هنا صلة جيء بها لتوكيد القسم.

ومن النفوس النفس الأمارة بالسوء التي تأمر صاحبها بالشر والسوء كما قال الله عز وجل في سورة يوسف ﴿وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِيْ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيْ إِنَّ رَبِّيْ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣]، وهذه النفس تظلم صاحبها ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه، المقصود أن هذه الروح أو هذه النفس جاءت في القرآن في مواضع كثيرة فيما يقرب من ثلاثمئة موضع جاء ذكر النفس وهذه النفس أقسم الله عز وجل بها، وبين سبحانه أن أمرها إليه سبحانه في حقيقتها وكنهها مما يدل على أن على العبد أن يعرف كيف يزكي نفسه ويطهرها كما قال عز وجل ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ١٠-٩]، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٥-١٤] فالمؤمن لا ينجو ولا يحقق الفلاح ولا يصيب النجاح إلا إذا زكى نفسه وطهرها، ولعلنا إن شاء الله في الدرس القادم نذكر وسائل تطهير النفس وتنقيتها.